

وسقطت كل الرؤى القديمة لمستقبل المنطقة بعد هزيمة الدولة الإسلامية.. سقطت لأن قياداتها لم تخض في الحقيقة معركة ضد الغزو بل كانت في جانبه - بقصد أو بدون قصد - وكانت تزعم معركة زائفة للصراع لم تع جوهره. فحتى سنة ١٩٢٩ كانت تلك القيادات تصور اليهود فقط كطرف للصراع، بينما الجماهير بحسبها الإسلامي تشعر أن بريطانيا هي أيضا الطرف.. وحين دعا أئمة المساجد الجماهير إلى عدم دفع الضرائب لحكومة بريطانيا الكافرة كتصعيد للصراع، وقفت القيادات من الملاك والوجهاء ضد الدعوة خوفا على أملاكهم من رد الفعل البريطاني. وحين تقدمت الحركة الإسلامية الثورية بقيادة الشيخ القسام رافعة السلاح في وجه بريطانيا لم تتكلف تلك القيادات المزعومة مجرد السير في جنازة الشهداء. وفي حمى معارك النكبة الأولى كانت الجماهير تستشهد وهم يتفاوضون، وكانت الجماهير تجوع وهم يتقاسمون ما بقى من الأرض وكانت الجماهير بإسلامها مصممة على مواصلة الصراع وهم يوقعون اتفاقيات الهدنة. وكان لابد أن تسقط أنظمتهم الواحد تلو الآخر وأن تسقط أطروحاتهم ومناهجهم، فقد قادوا المرحلة من بداية القرن إلى النكبة الأولى فلم يعطوا الأمة إلا الجوع والتضييع وفقدان الذات وتكريس قواعد الهجمة الغربية الاستعمارية على أرض فلسطين، وعلى طول الوطن الإسلامي وعرضه بأحزابهم وأفكارهم وقيمهم وهزيمتهم.. كانوا جزءا من الهجمة لا يتجزأ.

## من النكبة الأولى إلى النكبة الثانية:

كان من الطبيعي أن تتصدى الحركة الإسلامية لقيادة المرحلة التالية، إلا أن ظروف نهاية الأربعينات وبداية الخمسينات السياسية والاجتماعية والاقتصادية وعنف التدخل الغربي في الوطن الإسلامي لم تسمح لها بذلك - وليس هنا مجال دراسة تلك الأسباب بالتفصيل - وقد انتهت النكبة الأولى بتوجيه ضربات قوية إلى آمال الجماهير وإلى إسلامها وإلى أرضها، وتقدمت إلى السلطة العناصر العسكرية في انقلابات متواصلة لتقدم أطروحاتها القومية الجديدة، وتوثق علاقتها بالغرب - سواء الرأسمالي أم الشيوعي - وتدعى أنها جاءت لتعيد للأمة وحدة أرضها

ولتبنى مستقبلها ولتحقق لها العدل الاجتماعي والرفاهية والتقدم.. ولكن انتماءها القومي العلماني في الخمسينيات وانتماءها الاشتراكي العلماني في الستينات، كانا يحددان موقعها تماما من قضية الصراع على أرض الوطن الإسلامي.. لقد كانوا أطروحة جديدة فقط للهجمة الغربية ضد الإسلام.. ومع الغرب دائما سواء الشيوعي أم الرأسمالي ضد استقلال أمتهم وكانوا مع القهر والاعتقال والاغتيال ضد إسلام الأمة وحرية مفكرها ورجالها.. وكانوا مع رفاهيتهم وأرصدتهم ضد طموحات الأمة في النمو والتقدم والرفاهية. كان هذا هو إطار المرحلة التالية من النكبة الأولى في ٤٨ إلى النكبة الثانية في ٦٧. وحتى على النطاق الفلسطيني البحث، فقد نمت نفس الاتجاهات الممثلة للأنظمة العسكرية العربية. وفي حمى الغياب الكامل للوعي في تلك المرحلة، غاب مرة أخرى الوعي الجوهري والتاريخي الصحيح للقضية الفلسطينية، بل إن مختلف الاتجاهات الموجودة الآن على الساحة الفلسطينية، ضمن إطار منظمات المقاومة تعود بأصولها إلى تلك المرحلة وربما قبلها بقليل.. وكانت النكبة الثانية في صيف ذلك العام الصعب ١٩٦٧ انهيارا شاملا للثوريين الاشتراكيين من العسكر، ولأنظمتهم ولمناهجهم ولنضليلهم.. لقد سقطوا أولا حين ضاعت وعودهم في ظل ممارساتهم وسقطوا ثانيا حين قدموا بقية الأرض والتاريخ فداء لوجودهم وبقاء تسلطهم على روح أمتنا.

وكان لابد عقب النكبة الثانية أن تعود الأمة إلى أصلاتها وإلى حسها الإسلامي ووعياها التاريخي.. تتحسس وتتمسك به طريقها بعد سنوات التضييع والسقوط. كان لابد أن تدرك أي منحدر خطر قد وصلت إليه بعد أن ضيعوا هويتها الإسلامية، وبعد أن أسلمت قيادها لأعدائها وتلاميذهم الشرعيين.. ومع مطلع السبعينات كان المد الإسلامي الشامل في الوطن الإسلامي، هو الرد الطبيعي والعمل على المراحل السابقة التي أودت بأمتنا إلى نكبتين مروعتين في أقل من عشرين عاما.. وتكشفت ساحة الصراع عن تيار إسلامي متصاعد يتقدم لحسم هذا الصراع لصالح اصالة الأمة واستقلالها وتقدمها الحقيقي، وعلى الجانب الآخر كانت تقف قوى الغرب الاستعمارية وامتدادها من أنظمة وأحزاب قومية واشتراكية ووطنية بجانب إسرائيل كتجسيد للهجمة ضد الإسلام.